نظرات في الذريعة

الى تصانيف الشيعة

— ١ —

بقلم الدكتور مصطفى جواد

« تنبيه » قد كنا ذكرنا في البيان « ج ٢ ص ٦ » في التعدة السابعة ، ان المعروف « بنوسنبس » ثم رأينا في ترجمة « زرارة بن أعين » في لسان الميزان تعليقاً للسيد شريف الدين هذا نصه « ذكر في نضد الايضاح ان زرارة بضم الزاي ابن اعين ابن سنسن بضم السين قبل النون الساكنة وبعدها سين مضمومة والنون اخيرا ، والسينان مهملتان والرجل شيباني واسمه عبدربه وزرارة لقبه مات سنة خمسين ومأة وقال في فهرس الطوسي : كان سنسن راهباً في بلد الروم ».

وضبطه هذا الضبط المامقاني في « تنقيح المقال في احوال الرجال » . فالذي اورده العلامة اغا بزرك هو الاصل ، والاصل هو المراد لابنوسنبس ، ولا محل لاسترجاحنا ان يكون المراد «سنبس» بقولنا « المعروف بنو سنبس » ، هذا هو الذي اقتضانا التنبيه رعاية للحق والصواب .

١ ـ ورد في المجلد الثاني « ص ١٤ » من هذا الكتاب الجليل ما نصه « الاستبصار فيما اختلف من الاخبار لشيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المولود سنة ٣٨٥ ، قدم من خراسان الى العراق سنة ٤٠٨ وهاجر من بغداد الى الغري سنة ٤٤٨ وهو اول من جعل النجف مركزاً علمياً تأوي اليه الناس من كل فج عميق ، توفي فيها سنة ٤٦٠ »

قلت : وفي بعض ما قال العلامة المؤلف نظر فان ترك الطوسي لبغداد سنة ٤٤٨ ووفاته في النجف سنة ٤٦٠ يصعب معه التصديق بانه اول من جعل النجف مركزاً علمياً لان انتقاله لم يكن اعتياديا بل كان فيه مطلوباً معصباً ، اجل قال ابو الفرج ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٨ « وتقدم رئيس الرؤساء الى ابن النسوي بقتل ابي عبد الله بن الجلاب شيخ البزازين بباب الطاق لما كان يتظاهر به من الغلو في الرفض ، وصلب على باب دكانه وهرب ابو جعفر الطوسي ونهبت داره » ثم قال في حوادث السنة التالية لها « وفي صفر هذه السنة كبست دار ابي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام واخرج الى الكرخ واضيف اليه ثلاثة سناجق (١) بيض (٢) كان الزوار من اهل الكرخ قديما يحملونها معهم اذا قصدوا زيارة الكوفة ، فاحرق الجميع » (٣) وقال سبط ابن الجوزي « فاحرق الجميع في سوق الكرخ » وقال في الحادثة الاولى (وهرب ابو جعفر الطوسي فقيه الشيعة ومصنف التفسير فنهبت داره) هكذا وجدته في تاريخه « مرآة الزمان » .

وفي التحقيق انه قد احتوى التاريخ على علماء من الشيعة بثو العلم في الغري قبل العلامة الفقيه الطوسي ، ألا ترى ان النجاشي يقول في ترجمة الحسين بن احمد ابن المغيرة أبي عبد الله البوشنجي : كان عراقياً مضطرب المذهب وكان ثقة فيما يرويه ، له كتاب (عمل السلطان) أجازنا بروايته ابو عبد الله بن الحمزي الشيخ الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين ـ ع ـ سنة اربعمائة عنه (٤) ؟ ولو كان لي متسع من الوقت لبحثت عن سيرة ابي عبد الله الحمزي هذا الذي كان يبث العلم في النجف قبل الطوسي بثمان واربعين سنة .

٢ ـ وجاء في ص ٦١ اسم الكتاب المرسوم بـ (اسكندر نامه)

---

(١) جمع سنجق وهو بالتركية « الراية » وفي المنتظم المطبوع (ج ٧ ص ١٧٩) وردت الكلمة بصورة (مجانيق) فكأن داره كانت قلعة او خزانة سلاح للدولة ؟!

(٢) كانت السناجق بيضا اخذاً منه بشعار العلويين ولا سيما الفاطميين فقد عاصرهم .

(٣) المنتظم ج ٨ ص ١٧٣ ، ١٧٩

(٤) رجال النجاشي (ص ٥٥ ـ ١)

وقال في وصفه « احدى المثنويات الخمسة النظامية المعروفة به (بنج كنج) من نظم الشاعر الشهير بنظامي وهو نظام الدين ابو محمد احمد بن الياس .. التفريشي القمي الكنجوي المتوفى بعد سنة ٦٠٧ نظمه في سنة ٥٩٧ ... كان معاصر نصرة الدين السلطان الب ارسلان المتوفى سنة ٦٠٧ وابنه عز الدين مسعود طغرل تكين المتوفى سنة ٦١٠ من ملوك الشام بعد عصر طغرلبك ... والب ارسلان السلجوقيين بكثير - كما في حبيب السير » .

قلت : وهذا مما لاحصول له ولا عماد له في التاريخ ، فالشاعر أذربيجاني ومعاصره نصرة الدين وابنه المزعوم مسعود طغرلتكين من ملوك الشام ، فهل خلت الدنيا في زمانه من مشهورين حتى تعتمد المعاصرة بين اذربيجان والشام ؟ واذ كان الشاعر قد عرف المؤلف وذكر اسمه وبلده ووفاته لزم ان يكون الخطأ فيما بقي من الاسماء ، وهو إذن معاصر لنزل ارسلان بن ايلدكز امير الجبال واذربيجان المعروف في التاريخ ، ولابني أخيه ازبك ابن البهلوان صاحب الجبال همدان واصفهان وما حولها وابي بكر بن البهلوان الملقب نصرة الدين صاحب اذربيجان والظاهر انه مدحهم وهذا هو المراد بالاشارة الى المعاصرة ، وان لم اكن ذا علم بالادب الفارسي وتاريخه ، فما الذي أدخل أميراً من امراء الشام هو عز الدين ابو المظفر طغرلتكين ابن أزبن عبد الله الدمشقي في تاريخ الشاعر النظامي ؟ ثم ما معنى الموافقة بين وفاة النظامي ووفاة نصرة الدين وجعلها سنة ٦٠٧ ؟ فان كان هذا كله من كتاب (حبيب السير) فهو أوهام في أوهام .

٣ - وجاء في ص ٦٥ (اسماء البلدان لابي محمد الطيب بن عبدالله بن احمد محرمة اليمني ، رأيت نسخة خط سعيد بن محمد الفضيلي ...) ولم يذكر وفاته . قلت : إن المشهور هو أن اسم جده (بامخرمة) وهو مؤلف تاريخ عدن المشهور وقد توفي سنة ٩٤٧ قال محيي الدين عبدالقادر العيدروسي :

(وله (رح) تصانيف حسنة منها شرح صحيح مسلم ... واسماء رجال مسلم ، وتاريخ مطوّل مرتب على الطبقات ، والسنين وابتداء التاريخ المذكور من اول الهجرة وكتاب في مشتبه النسبة الى البلدان وهو مفيد في بابه جداً » (١) فالموصوف في الذريعة هو الكتاب الاخير .

٤ - وذكر في ص ٦٨ كتاب (اسماء الشعراء وتفسيرها) لأبي عمرو محمد بن عبد الواحد المطرز المعروف بازاهد غلام ثعلب المتوفى ببغداد سنة ٣٤٥ ، ونقل اقوال من قال بكونه امامياً ، والصحيح انه من ابعد الناس عن ذلك قال الخطيب البغدادي : (سمعت غير واحد يحكي عن ابي عمر الزاهد ان الاشراف والكتاب واهل الادب كانوا يحضرون عنده ليسمعوا منه كتب ثعلب وغيرها ، وكان له جزء قد جمع فيه الأحاديث التي تروى في فضائل معاوية فكان لايترك واحداً منهم يقرأ عليه شيئاً حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء ثم يقرأ عليه بعده ماقصد له (٢) » ، ولا اظن إمامياً يتعمد من الحكم على قلوب الناس مثل ذلك ، وان كان غاية في الاعتدال والتساهل .

وكنيته ابو عمر لا ابو عمرو ، وقد وردت كذلك في كتب التراجم لاسيما فهرست ابن النديم قال مؤلفه « وكان نهاية في النصب والميل على علي (ع) ... لقاه الله عمله » الى أن قال « وكان يقول انه شاعر مع عاميته فمن شعره :

إذا ما الرافض الشامي تمت معايبه تختم في يمينه
فأما إن أتاك بسمت وجه فان الرفض باد في جبينه

ويكفيه جهلا هذا الشعر (٣) » ، واغفل هذه الامور من سيرته كمال الدين ابن الانباري (٤) وقال ابن خلكان « وكان مغالياً في حب معاوية وعنده جزء من فضائله وكان اذا ورد عليه من يروم الاخذ عنه الزمه بقراءة ذلك الجزء وكانت فضائله جمة وعلومه غزيرة » (٥) وقال

(١) النور السافر عن اخبار القرن العاشر (٣٠ ، ٦٠ ، ٢٢٦)
(٢) الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٥٦-٧) ومعجم الادباء (ج ٧ ص ٢٦)
(٣) ص ١١٣ من طبعة مصر
(٤) نزهة الالباء ص ١٨٦ طبعة مصر
(٥) الوفيات (ج ٢ ص ٧٦)

الشيب والشباب

في شعر الشريف الرضي

بقلم الاستاذ عز الدين آل ياسين

— ٤ —

وما سبب هذا الشيب ؟

ولا يزيد سببه العلمي المقرر في وظائف الاعضاء ، فذلك سبب لا يهم الاديب ولا يمتعه ، بل سببه الذي يمليه الخيال وهو أدنى إلى الجدة والجمال ، وللشريف في اختراع علل الشيب افتنان الشاعر الذواق .

فهو يعزو شيبه الى الغواني ودهن وامتناعهن :

يذم البيض من جزع مشيبي ... ودل البيض اول ما أشابا

خداع الشباب فقل لي اين اطلبه

وازور عن نظري البيض الرعاديد

بيض وسود ترأمي لا يسلطها

على الذوائب إلا البيض والسود

وقد يرد تبعته الى الزمان وصروفه واحزانه :

راحت تعجب من شيب ألم به ... وعاذر شيبه التهام والاسف

ولا تزال هموم النفس طارقة ... رسل البياض الى الفودين تختلف

ولم يلبثهن غربان الليالي ... نعيتاً ان أطرز غراب رامي

وما زال الزمان يحيف حتى ... نزعت له على مبيض لبامي

ورأت وخط بياض طارق ... وخط التهام قلبي فوخط

ما لها تنكر مع هذا الشجا ... وقعات الشيب بالجعد القطط

فهو لم يشب اذن من طول السنين وتقادم العمر ، كيف وقد وخطه الشيب والغصن رطيب ، ان هذا الشيب الا غبار حروب الدهر غطى سواده :

وما شبت من طول السنين وانما

غبار حروب الدهر غطى سواديا

وما انحط اولى الشعر حتى نعيته ... فبيض هم القلب ما في عذاريا

ولا عجب اذا افضى المشيب الى رأسه وهو في أعلى قباب الشباب ، فالرياح اذا اشتدت قصفت أعلى الغصون الرطاب :

تخطى المشيب الى رأسه ... وقد كان أعلى قباب الشباب

كذاك الرياح اذا استلأمت ... تقصف اعلى الغصون الرطاب

فنون التشبيه

وفي هذا الباب ـ الشيب والشباب ـ معرض لكثير من فنون التشبيه التي تمليها الصناعة الفنية التي ألهمها الشريف الرضى الهاما فكانت فيه ملكة راسخة واضحة المعالم بينة اللمحات في معظم مجهوده الأدبي

من ذلك انه يشبه الشيب بالبازي المنقض على الرأس لينسل منه الى المهجة يتأكلها فاذا رآه غراب الرأس استولى عليه الذعر فطار :

وطعم لبازي الشيب لا بد مهجتي ... أسف على رأسي فطار غراب

وقد يشبه الرأس الأسود بالفرس البهيم والبياض الذي يتخلله بالغرر والحجول :

كبت البهيم واعلاق الهوى جدد ... واخلقتك حجول الشيب والغرر

الذهبي « رأيت الجزء الذي جمعه في فضائل معاوية وفيه اشياء كثيرة موضوعة ، والآفة فيها من غيره ... قال ابن النديم ... وكان يقول انه شاعر مع عاميته قلت : هذا اوضح الأدلة على ان ابن النديم رافضي لأن هذه طريقتهم : يسمون أهل السنة عامة وأهل الرفض خاصة [١] . وذكر جزأه في فضائل معاوية جلال الدين السيوطي نقلا عن غيره [٢] . وأرخ وفاته ابو الفرج ابن الجوزي ولم يشر الى هذا الأمر من سيرته [٣] وجاء في كامل ابن الاثير في حوادث سنة ٣٤٥ بصورة « ابي عمر والزاهد » والصواب ـ كما ذكرنا ـ ابو عمر الزاهد ، وذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة لسنة ٣٤٥ وممن أحسن ذكره مع اختصار كتابه ابو الفداء في تاريخه . (يتبع)

[١] لسان الميزان « ج ٨٥ ص ٢٦ »

[٢] البغية ص ٦٩

[٣] المنتظم « ج ٦ ص ٣٨٠ »